شهادات بالمفرق.. والآن بالجملة!

الشهادة هي ما يشهد لك أو عليك وشهاداتنا اليوم هي في الميزان!

الشاعر المهجري الياس فرحات كان ضعيفاً في اللغة العربية، وكان يجهل علم العروض، وينظم الشعر بالسليقة، فتأتي قصائده مستقيمة الوزن رائعة المعنى. لم يدخل فرحات مدرسة ولم يحمل أية شهادة فتجلت هوايته في الزجل. ولما هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠ عكف على مطالعة دواوين كبار الشعراء، وأخذ يتمرّس بنظم الشعر الفصيح، وقد نظم قصيدة ظنّها آية في الجودة وتلاها على أديب عربي، مطلعها:

ضروباً من الأهوال حمّلني دهري
وجرَّ عليَّ الهم والذلِ والقهرِ

فضحك ذلك الأديب وبادره بقوله: أن العجز كلّه غلط، وأفهمه ان الكلمات «الهمّ والذل والقهر» مفعول به، ويجب ان تكون منصوبة، ثم شرح له قاعدة الفاعل والمفعول به والمجرور بحرف الجر أو بالإضافة.

ويضيف فرحات: «أنّ ما سمعته من ذلك الأديب آنئذ، وما زال الدرس الوحيد الذي تلقّنته في الصرف والنحو»!..

* * *

أحد الأدعياء - وحضرته دكتور في الأدب العربي - حاول أخيراً ان يقنعني بضرورة قولنا: عوقب التلميذ (بفتح الذال)، وجزم أمامي بأنّ «التلميذ» يجب أن ينصب على انه مفعول به على الرغم من أنّ فعلاً مجهولاً سبقه! وعندما اعياني كلامه وسئمت الجدل العقيم، قلت لمحدّثي الدكتور في الأدب العربي(!!):يا سعد اللغة العربية بأمثالك، وهنيئاً لطلابك بأستاذ جهبذ مثلك!...

* * *

الشهادات الجامعية المتزايدة عندنا، في اطار من المنافسة غير السليمة في كثير من الأحيان، قد تفضي بمستوياتنا الثقافية إلى حد من التقهقر الذي لن تحمد عقباه. فهل من سميع فهيم مجيب؟!..

د. جهاد نعمان